عنوان المحاضرة الثانية : الاستشراق الفرنسي في الجزائر

بدأت بوادر ظهور حركة الاستشراق الفرنسي بشكلٍ انفراديٍّ وتدريجيٍّ من طرف أفرادٍ أوروبيين، هم رهبانٌ ومغامرون استهوتهم الدراسات الشرقية، وحب الكشف والمغامرة، بحيث لم يكن الاستشراق في مراحله الأولى منظّمًا ورسميًّا ، لكن عندما احتلت فرنسا الجزائر شجعت المستشرقون ووفرت لهم كل الامكانيات المادية والمعنوية من أجل التغلغل في وسط المجتمع الجزائري والتحكم فيه والسيطرة عليه، فاتجهوا إلى الفرد والجماعة والأخلاق والآداب والفنون والعلوم والآثار والدين وكل ما يخص الحياة الاجتماعية للجزائريين وهذا قصد خلق مجتمع على الطريقة الغربية تحت عنوان الادماج الفرنسي، وكل هذا من أجل القضاء على اللغة والتعليم والعادات والتقاليد وتخريب الثقافة وهي أكبر جريمة ارتكبها الاحتلال الفرنسي على هذه الأرض فهو زال وبقيت رواسبه إلى يومنا هذا مازالت الجزائر تدفع ثمنها

أعلام الاستشراق الفرنسي في الجزائر

شكل الاستشراق الفرنسي في الجزائر طيلة فترة الاحتلال أحد أهم آليات اكتشاف المجتمع الجزائري واختراق بنيته ونسيجه، أين بذلت السلطات الاستعمارية مجهودات فردية وجماعية لعشرات المستشرقين على مستوى الؤسسات، من خلال عقد مختلف المؤترات والملتقيات، بمباركة الإدارة الفرنسية التي هيأت لهم كل الظروف المادية والبشرية، حيث كلّلت هذه الجهود بنشر مئات البحوث والدراسات التي تعكس صورة المجتمع الجزائري وقد خلف الاستشراق الفرنسي في الجزائر قائمة أسماء طويلة يطول ذكرها، تنوعت مجالات اهتمامها نذكر منها على سبيل الحصر لا التمثيل.

1_ سلفستردي ساسي: كان أول بابا فرنسيٍّ أنشأ أول مدرسةٍ عنيت بتدريس اللغة العربية وآدابها، وهي مدرسة «Reims» ريمس، وقد أخذت حركة الاستشراق في فرنسا على عهده بتداء من سنة 1838م تتخذ منحى ذو طابعٍ علميٍّ على يده إذ أصبح إماما للمستشرقين في عصره، وإليه يعود الفضل في جعل باريس مركزًا للدراسات العربية يؤمها التلاميذ والعلماء من مختلف أنحاء أوربا ليتعلموا، ويعد دي ساسي وجهاً للاستشراق الاستعماري فقد كان من مهامه ترجمة نشرات الجيش الفرنسي للبلاد التي استعمروها، حيث قام بترجمة الإعلان الفرنسي إلى الجزائريين باحتلال فرنسا للجزائر عام 1830م.

2_ لويس ماسينيون: ولد عام 1883م، في إحدى ضواحي باريس قام برحلة إلى الجزائر، تخرج من كلية الآداب عام 1902م، وحصل أيضاً على دبلوم الدراسات العليا، واشترك في مؤتمر المستشرقين في

الجزائر عام 1905م، حصل على الدكتوراه برسالته عن آلام الحلاج من السوربون عام 1922م. كان موغلاً في الروحانية نتيجة اشتغاله المتواصل بفهم أسرار الصوفية . غلب عليه الطابع التنصيري فهو الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية، وقد وضع اتجاهه التنصيري في خدمة السياسة الاستعمارية الفرنسية آنذاك. أما تصوفه وفلسفته فهما موظفان للنشاط التنصيري السياسي الظاهر والخفي؛ وربما كان إيمانه القوي بكاثوليكيته قد قوّى في نفسه النزعة الباطنية، وأضفى الروحية في حياته وأعماله، توفي عام 1962م. من مؤلفاته ترك ماسينيون مئات من الكتب والبحوث والرسائل والمقالات، منها

- جغرافية المغرب.
- آلام الحلاج ومذهب الحلاجية.
- أربعة نصوص متعلقة بالحلاج.
- الفولكلور لدى المتصوفين المسلمين.
- الأولياء المسلمون المدفونون في بغداد.
- الكنيسة الكاثوليكية والإسلام.
- بحوث عن الشيعة المتطرفة في بغداد في أواخر القرن الثالث للهجرة. وغيرها كثير

3_ ليفي بروفنسال: ولد في العاصمة الجزائر عام 1894م من أسرة يهودية، وتلقى تعليمه في ليسه قسنطينة في الجزائر. تخرج من كلية الآداب في جامعة الجزائر، يعد من من قادة الجنود المخلصين لفرنسا فقد شارك في الحرب العالمية الأولى عام 1914م، كما ساهم فكرياً بتأليف مجموعة من الكتب والبحوث التي كان لها الأثر في مدّ الاستعمار الفرنسي بما يحتاجه من معلومات وخبرات، استطاع بدهائه إخفاء مشاعر اليهودية على الرغم من تورطه بالإساءة للإسلام والنفور من مجتمع المسلمين، مما حقق له شهرة في مجتمعه وبين قومه. كما ظهر دهاؤه في تأييد ثورة الجزائر في سنواتها الأولى رغم وجهته الاستعمارية والفكرية، عيّن أستاذاً للدراسات العربية في كلية الآداب (السوربون) بجامعة باريس وستمر في منصبه حتى وفاته عام 1956مترك العديد من المؤلفات منها:

- تاريخ إسبانيا الإسلامية: صدر منه ثلاثة مجلدات.
- وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين

- المخطوطات العربية في الاسكوريال.
- نقوش عربية في إسبانيا.
- إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر الميلادي: النظم والحياة الاجتماعية. وغيرها من الكتب والترجمات والبحوث في التاريخ والأندلسيات والأنساب

4_ ألفريد بيل – Bel Alfred ولد ألفريد بيل في ضواحي سالني بفرنسا وهناك زاول تعلميه الابتدائي مبرزا تفوقه العلمي، ولما بلغ سن السابعة عشر تحصل على شهادة البكالوريا في شعبة العلوم، ومع صغر سنعه اشتغل بيل **Bel** معيدا في ابتدائية البليدة لينتقل بعدها إلى ثانوية وهران والتي مكث فيها مدة خمس سنوات، كما أشرف ألفريد بيل **Bel Alfred** على إدارة مدرسة تلمسان ثلاث مرات. ومن مؤلفاته:

كتاب بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين

تأتي دراسة ألفريد بيل لمساجد بني سنوس في إطار دراساته الميدانية، حيث كلفته مصلحة الآثار التاريخية عام1920م بمعاينة هذه المساجد قصد الوقوف على طابعها العمراني وإبراز قيمتها من جهة، ومحاولة تصنيفها وإضفاء الطابع الرسمي عليها من جهة أخرى، وبناء على هذا قدم لنا في الدراسة هذه وصفا لأربعة مساجد في قرى بني سنوس على النحو الآتي مسجد قرية الثلاثا مسجد قرية تافسرة مسجد قرية الخميس مسجد قرية بني عشير جاء هذا الوصف ليحدد خصوصيات كل مسجد.

كتاب بعض طقوس الاستمطار إبان الجفاف لدى المغاربة

يعد موضوع الاستسقاء في الجزائر أو طلب الأمطار كما يرد في الأدبيات الفرنسية من أهم مواضيع التراث الشعبي التي لقيت اهتمام المستشرقين الفرنسيين، وتمثل طقوس بوغنجا في التطواف بمغرفة (أغنجا) مكسوة بزي عروس في موكب تشارك فيه ا والأطفال، يرددون الأهازيج والأدعية التي تعبر عن الابتهال والضعف ببراءهتم اتجاه الخالق وعدم مسؤوليتهم عن الجفاف بسبب الذنوب ، ويطوفون عبر الدواوير والقرى والأضرحة، ويتم تحصيل واستلام العطايا والصدقات من الأهالي، حيث تخصص موادها لتهيئة مأدبة طقوسية تقام قرب مجرى نهر أو على بيدر، أو في مزار(ضريح ولي)، أو على قمة مرتفع حسب المناطق. هذه هي الخطوط العريضة لهذا الطقس، أما طقس الاستسقاء كما لاحظه ألفريد بيل في تلمسان، حيث يجتمع السكان عند ضريح الولي الصالح الشيخ السنوسي ويخرجون الطعام ويتناوله الكبار والصغار والفقراء

والأغنياء وحتى الغرباء، وعند الانتهاء من الطعام يتم نشر ما بقي منه على الأرض لتأكل الطيورحصتها منه. كما له كتاب بعنوان "الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح إلى الآن" الذي يهتم بدراسة العقيدة في المغرب الاسلامي على الرغم من احتوائه على كثير من المغالطات والدسائس عن الدين الاسلامي.

5_ جوزيف دي سبارمي: من أشهر دراسته حول المجتمع الجزائري نجد كتاب " الفوائد في العوائد والقوائد والعوائد" وهو دراسة انتروبولوجية للمجتمع الجزائري وخاصة مدينة البليدة حيث تعرض فيه إلى الزواج والاحتفالات بعيدي الفطر وعيد الأضحى والاحتفال بالمولود الجديد وبطقوس الاستمطار خاصة طقس بوغنجة.

ونافلة القول إن الاستشراق الفرنسي قدم خدمة كبيرة للدراسات العربية والشرقية حيث قام بفهرسة الكثير من الكنوز الشرقية من مخطوطاتٍ ووثائقَ وغيرها، سواءً في فرنسا أو في غيرها من البلاد التي استعمرتها، ومع ذلك فإن هذا الاستشراق (الفرنسي) يحمل في ذاكرتة خلفيةٌ عدائيةٌ للمسلمين اتخذها سلاحًا استراتيجيًّا لتنفيذ سياسة فرنسا الخارجية تجاه البلاد العربية خاصة والإسلامية عامة، إذ ضم بين صفوفه الكثير من ضباط القوات المسلحة الفرنسية، وأتاح لهم عملهم في المستعمرات الفرنسية النبوغ في ميدان الدراسات الشرقية في مختلف جوانبها، إذ أسهمت دراسات هؤلاء المستشرقين من تمكين الاحتلال الفرنسي من معلوماتٍ ووثائقَ على درجةٍ عاليةٍ من الأهمية والدقة، ولم تسع هذه الأبحاث في واقع الأمر سوى إلى تعبيد الطريق لاحتلال الدول الإسلامية، إذ كانوا على صلة مستمرةٍ بمراكز صنع القرار، كما نجد أن هؤلاء المستشرقين الفرنسيين من أشد الباحثين تعصباً ضد الإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ من النادر أن نقرأ لمستشرق فرنسي شيئاً طيباً عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحتى لو قال شيئاً حسناً فإنه يتحفظ في قوله تحفظاً بالغاً.